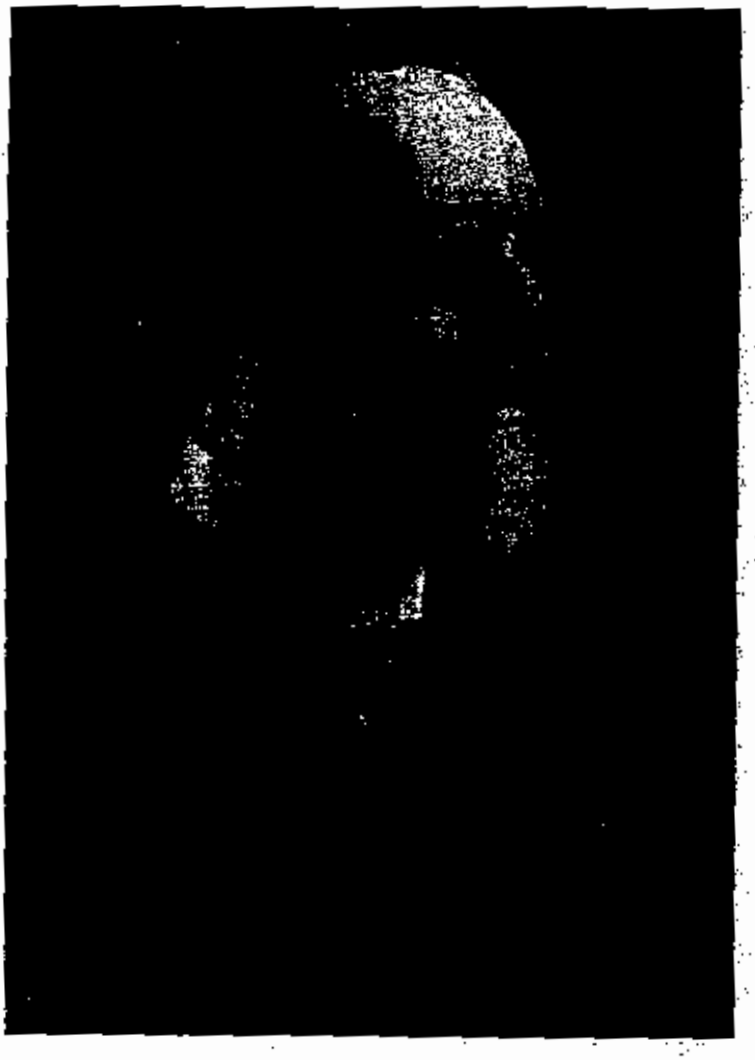

المستشرق بلاشير

[تفضلت الآنسة سوزان بلاشير كريمة المستشرق الاستاذ بلاشير باهداء هذه الصورة التي وهي من أقدم صور « أولنارية » بروما و تظهر محفوظة]

المستشرق نلينو

حياته وآثاره

للعلامة المستشرق البروفسور ليفان
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

الاستاذ كارلو الفونسو نلّينو (C. A. Nallino) علم من أعلام الاستشراق وإمام المشتغلين بالمشرقيات في ايطاليا . عرفهُ طلبة الجامعة المصرية أمس واليوم أستاذاً وصديقاً وعالماً وديعاً فأحبوه وأحبهم وقد زاد تعلقهم به على قدر رعايته لهم وتثقيفهم.

حول الاستاذ نلينو أعين تلاميذه المصريين الى القطب الآخر الذي يغيب عنهم . ذلك أنهُ عرف فيهم النباهة وسرعة الخاطر وحب الاطلاع وقوة الذاكرة ثم كشف عن النقص فلاحظ ما يحتاجون اليه من تنظيم معلوماتهم وحصرها وضبطها حتى يتهيأ لهم التأليف بعد البحث فتمعد في درسه الدقة العلمية الشديدة ووقف على كل مسئلة يوفيها قدرها من الفحص ليصلح بنا أن نحرف وليجعل من هذا الثبات المثقب شجراً مثمراً . توصل الى غايته دون ان يرهق تلاميذه أو يكلفهم شططاً وهم يعترفون له على إختلاف مناحيهم بالفضل والأثر

وكذلك كان له خير ذكر عند زملائه علماء المشرقيات في أوربا والشرق العربي.

واليك المرثية التي كتبها المستشرق ليتمن من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية وأستاذ اللغات الشرقية في جامعة توبنجن بألمانيا . وهذه المرثية تبرز — على الطريقة الألمانية في المراثي — خصائص الراحل ومناحي مباحثه وألوان تأثيره

مراد كامل

— ١ —

خسر العلم بفقدان زميلنا الاستاذ نلّينو نابغة من اعظم العلماء وأجلهم قدراً . وقد ظهر نبوغ الاستاذ نلينو في علم المشرقيات وعلى الخصوص في العلوم الاسلامية ، ويندر ان نجد عالماً مثله بين اولاء الذين درسوا العلوم الاسلامية : بحث في كل فروع هذه العلوم المتشعبة فكشف لنا عن حقائق علمية جديدة في كل ناحية من نواحيها . وقد قال الاستاذ نلينو مرة لزميل من زملائه في مدينة بلرمو « لا يحوّلني عن دراسة العرب كائن ما كان ولكني أحاول أن

أعرف كل شيء عن العرب » . وفضلاً عن ان اللغة العربية والعلوم الاسلامية على تعدّد فروعها كانت موضع عنايته الخاصة فقد كان على علم يقين ومعرفة ثابتة بسائر لغات الشرق الأدبي وآدابها وقد عرف كيف يستعملها عند الحاجة فكان يتقن الآرامية والعبرية والفارسية والتركية ، وفي مؤلفاته شواهد باللغة الارمنية واللغة الحبشية . ولكنهُ حصر جهده في دراسة العربية كزميله المستشرق الهولندي ده غويه de Goeje (يعني بهم زميلاه الاستاذ نولدكه Noeldeke الالماني وكذلك الاستاذ جويدي Ignazio Guidi الايطالي في علم اللغات السامية عامة بل تعدياها احياناً الى فقه لغات اخرى) وأتقن الاستاذ نلينو دراسة علوم اخرى : فدرس علم الفلك والرياضيات والفلسفة والفقه وتاريخ الاديان دراسة محقق ليستعملها في مباحثه المختلفة . وكان يتعمق في الدرس ويتعقب اغلاط العلماء المتقدمين وينقّي الحبّ من التبن — كما تقول — ويحلّ المشكلات العلمية على وجه جديد صحيح . وقال عن نفسه مرة « اذا صادفني مسألة علمية فلا بدّ لي أن أتعمق في بحثها فأنا لا اكتفي بمعرفة نصف الشيء » . وبدأ احياناً بدراسة نقطة ظنّ انها تافهة فوصل منها الى مسائل مهمة حقّقها على اتمّ وجه . وقال في معرض الكلام عن هذا النوع من الدراسة في رسالة له تقع في خمس وعشرين صفحة عنوانها (أفلسفة مشرقية أم مُشرقية عند ابن سينا):« إنّ المسألة التي اقصد حلها تظهر تافهة ولغويّة بحتاً ولكن حلها في الحقيقة على غاية من الاهمية فهو يبيّن بطلان فكر ابن سينا ومنصبه الحقيقي في تاريخ الفلسفة عند مسلمي الشرق،فأملي ان اكون على حقّ في توسمي في هذا المقال والتدقيق في بحثه »

كان الأستاذ نلينو يملك زمام اللغة العربية كاتباً وناطقاً ، فقد ألقى بعض مؤلفاته بالعربية وألقى محاضرات في الجامعة المصرية بها من سنة ١٩٠٩ الى سنة ١٩١٢ ثم من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣١ .وكان في جلسات مجمع فؤاد الاول للغة العربية كثيراً مايثوب عن الاعضاء الأوربيين في الكلام . وقد قرأتُ في جريدة مصرية « أن الاستاذ نلينو يعرف العربية كأنها لغة آبائه »

ولد الاستاذ نلينو في السادس عشر من شهر فبراير سنة ١٨٧٢ في مدينة تورينو من اعمال بيمونت Piemonte ونشأ في أودينه Udine من أعمال البندقية ، ثم درس في مسقط رأسه تورينو تحت اشراف الاستاذ بزي Pizzi وحصل في سنة ١٨٩٣ على درجة الدكتوراه في الآداب وكان الاستاذ Pizzi يؤثر تدريس اللغة الفارسية فالغالب على الظن أن الاستاذ نلينو انتفع من تعليمه لتلك اللغة . أمّا الفضل في دراسته للغات الشرقية الأخرى فيرجع لنفسه واجتهاده . وقد ارسلتهُ وزارة المعارف الايطالية على نفقتها الى القاهرة في شهر ديسمبر سنة ١٨٩٣ فأقامها الى شهر مايو من السنة التالية ليتزيد من العلم . وفي خريف تلك السنة بعثهُ مرصد ميلانو الى الاسكوريال في اسبانيا لدراسة المخطوطات العربية فيها . وكان قد سافر سنة ١٨٩١ وهو ابن تسع عشرة سنة

الى مونيخ في بافاريا لكي يفحص عن بعض المخطوطات العربية وينسخها . ثم صار معلماً وهو ابن احدى وعشرين سنة أي في سنة ١٨٩٤ حين عيّن لتدريس اللغة العربية في المعهد الشرقي بمدينة نابولي ، وبقي في هذا المنصب الى سنة ١٨٩٩ . ثم رقي في المعهد نفسه الى منصب استاذ مساعد وظل كذلك ثلاث سنوات . وكان في الوقت عينه مدرساً للغة العربية وآدابها في جامعة روما الملكية ، ثم دعي في سنة ١٩٠٢ الى الجامعة الملكية في پارمو كأستاذ مساعد ، وبعد ثلاث سنوات عيّن أستاذاً للغة العربية بها حتى سنة ١٩١٤ ، وكذلك ألقى محاضرات في الجامعة المصرية القديمة من سنة ١٩٠٩ الى سنة ١٩١٢ عن تأريخ علم الفلك عند العرب وعن تأريخ الآداب العربية ، ثم عُيّن أستاذاً بالجامعة الملكية في روما للتاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية فأنتج في التعليم والبحث والادارة ، والقى محاضرات في تاريخ بلاد العرب قبل الاسلام في الجامعة المصرية كأستاذ زائر من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣١ . وكلفتهُ حكومته بعد الحرب التي نشبت بين ايطاليا وتركيا ان يقوم بتنظيم ما تبقى من الأوراق الرسمية التركية السياسية وتأسيس مكتب للترجمة ، وكان ذلك في أواخر عام ١٩١٢ ، ثم عهدت اليه وزارة المستعمرات بأعمال مختلفة منها أن يكون مندوب الملك في تنظيم المعهد الشرقي في نابولي تنظيماً جديداً ، وكان ذلك فيما بين سنة ١٩١٣ وسنة ١٩١٤ فنرى أن الاستاذ نلينو لم يكن صاحب علم نظري فحسب ، بل اكتسب تجارب عملية مفيدة من أسفاره العديدة ومناصبه المختلفة أهّلتهُ كوطنيّ غيور لاستخدامها بغطنة زائدة في منفعة وطنه ، فكان كذلك عضو المجلس الأعلى للتعليم من سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٢٨ وقد عُيّن سنة ١٩٣١ مديراً للمعهد الشرقيّ بجامعة روما فقام بادارته خير قيام إلى أن وافتهُ المنية . وفي اثناء ذلك أسّس مجلة (الشرق العصري) Oriente Moderno وكان رئيس تحريرها . وهي مجلة فريدة في بابها يحق للمستشرقين الايطاليين ان يفخروا بها إذ لا مجلة هنالك على اسلوبها في العالم يُذكر فيها كل ما يتعلق بالشرق العصري بمثل هذه الدقة والأمانة العلمية ، ويجانب هذا كلّه أسندت اليه ادارة القسم الشرقي من دائرة المعارف الايطالية وكذلك نيابة رآسة المجمع العلمي بروما

عرف الاستاذ نلينو في اسفاره المتعدّدة البلدان ، التي حول البحر المتوسط من المغرب الاقصى الى بلاد الشام ، فبعد ان زار القاهرة للمرة الاولى في سنة ١٨٩٣ سافر مراراً الى بلدان إفريقية الشمالية ثم حملتهُ الرغبة في البحث على زيارة بلاد السودان والعراق فسافر اليها عقب إقامته في القاهرة ، واخيراً شاهد بلاد العرب التي طالما بحث عنها نظريًّا ، فبينما كنا الى مائدة طعام في يوم من ايام شهر يناير في السنة الماضية اذ بادرني بقوله « اني سأسافر مع كريمتي الى جدة » وقد ودّعتهُ في اوائل شهر فبراير ونحن نجهل ما يخبأه لنا القدر وأنا لن نتقابل مرة اخرى . أفلته

سيارة السفير الايطالي مع كريمته من القاهرة الى السويس ومنها ساروا على باخرة صغيرة الى جدة فظلا هناك الى اواخر شهر مارس فسنحت لها الفرصة فسافرا بالسيارة الى داخل الجزيرة مارين بالطائف، وقد كتبت إليَّ الآنسة ماريا نلينو عن هذه الرحلة قالت: — «اضطررنا في رحلتنا هذه ان نلبس ملابس العرب فلبس أبي المشلح والعباءة. أما أنا فلبست الجلباب الأسود ووشاحاً مضاعفاً يغطي الوجه كله، وبتنا في طريقنا في قرية النيل في غرفة صغيرة خالية من الأثاث لا نافذة فيها ولها باب بدون مصراع تطل على السهل الواسع تسرح للكلاب والقطط وما اليها أن تدخلها وكل ما كان لدينا من الترف كرسيان من القش اضطجعنا عليهما بملابسنا». ومع ان الاستاذ نلينو كان يتحمل متاعب الاسفار ومشاقها فأنا أظن أن متاعب تلك الرحلة اضرت بصحته ولكنه رجع الى روما فرحاً مرحاً فبدأ عمله هناك بما عهد فيه من النشاط. وكان يريد أن يشترك في مؤتمر المستشرقين في بروكسل ولكن توفاه الله في الخامس والعشرين من شهر يوليه سنة ١٩٣٨ بسكتة قلبية، فحزنت عليه ايطاليا اذ كان من أعظم علمائها وحزن عليه جميع علماء المشرقيات وحزن عليه اصدقاؤه وتلاميذه الكثيرون في الشرق والغرب، وكذلك كان حزن أعضاء مجمع فؤاد الاول شديداً عندما اوصل اليهم معالي رئيسه خبر الوفاة قال: «مع عظيم الأسى وبالغ الحزن أبلغ حضراتكم نبأ وفاة زميلنا المغفور له السنيور نلينو. ولا شك أننا جميعاً نشعر بأن المجمع قد خسر بوفاته عضواً غزير العلم جليل النفع كريم الخلق، نسأل الله أن يلهمنا وإياكم جميل الصبر ويهبنا جميعاً العزاء»

— ٢ —

أما مؤلفات الاستاذ نلينو الاولى فأظهرت تشعُّب دراساته واتساع أفقه العقلي، فقد كتب أول مؤلفاته وهو ابن عشرين سنة وكان موضوعهُ جغرافيًّا، وكتابه الثاني عنوانه «منتخبات قرآنية» أضاف اليها معجماً له شأنهُ في علم اللغة، وكان موضوع رسالته الثالثة تاريخيًّا والرابعة فلكيًّا، ثم أفاضت علينا مؤلفاته الوانًا وانواعاً فشملت تقريباً كل علوم اللغة العربية والثقافة الاسلامية العربية. واهم ما نشر وأوسعه بحث عن علم الفلك عند العرب وتاريخ الفقه الاسلامي وفتح له هذا البحث باباً الى دراسة الفقه عند مسيحيي الشرق وهو أول من دلنا على حقيقة الكتاب المسمى (بكتاب الفقه السرياني الروماني).

والآن أحب أن أعرض مجملاً تآليف الاستاذ نلينو، ولما كان فهرست مؤلفاته المطبوع لم يُذكر فيه نقده العلمي للكتب المختلفة ولا مقالاته المنشورة في دائرة المعارف الاسلامية ولا الايطالية فأنا لا يمكنني أن أتكلم عنها كلها هنا، وكل ما في وسعي أن أقوله إن نقده للكتب المختلفة كان في دائرة الموضوعات التي بحث فيها وقد يتعدّاها أحياناً، ولم يكن الاستاذ نلينو ممن يكرر القول في نقده بل يوضح المسائل بأفكار جديدة، وكثيراً ما أظهر بنقده أخطاء المتقدمين

وحدّد واجب الناقد والحاكم بقوله « أجتهد ان أقوم بهذا الواجب على وجهه محايد كما يجب على كل من دعي ان يحكم حكماً »

أما أول كتبه في اللغة وتاريخ اللغة فهو (منتخبات قرآنية) كتبهُ في سنة ١٨٩٢ ونشرهُ في السنة التالية ، وقد رتّب السور المختلفة بحسب تاريخ نزولها كما أثبت ذلك الاستاذ نولدكه Noeldeke في كتابه عن تاريخ القرآن ، لقراءة النصوص القرآنية ومسائل أخرى ظهرت بعد ما نشر برجشتر سر Bergstraesser وجفري Jeffery وبرتزل Pretzl أبحاثهم ولكن قصد الاستاذ نلينو ان يكتفي بالنص المبروض ، وأضاف الى كتابه تعليقات وملاحظات ومعجماً على غاية من الدقة ذكر فيه اشتقاق الكلمات كما كانت معروفة في ذاك الزمان ، وقال في ذلك « إني أعرضت أحياناً عن المعاجم العربية وبذلت جهدي لكي أعرض في معجمي هذا معاني الكلمات كما دارت في خلد النبي » . فهذا يظهر لنا الروح العلميّة الصحيحة لعالمنا الشاب ، وقد سمحت له اسفاره في افريقية أن يتعلم اللهجات العربية الحديثة فكان يتكلم باللهجة المصرية بطلاقة كما كان يتكلم بالعربية الفصحى ، فنشر أولاً (ملاحظات في اللهجة العربية التونسية على كتاب قواعد هذه اللغة الذي نشره الاستاذ Stumme) ، وتلا ذلك كتابه المشهور الذي عنوانه (اللهجة العربية في مصر) وهو يحتوي على قواعد اللغة العامية المصرية ومحادثات وستة آلاف كلمة تقريباً . وكتابه هذا عمدة لكل من أراد ان يدرس اللهجة المصرية فنفدت طبعتهُ الأولى لكثرة الاقبال عليه ثم ظهرت طبعة ثانية منقحة واقبل الاستاذ نلينو بعد ذلك بهمة عالية على إكمال هذا الكتاب وكذلك اعتنى بعلم النقوش العربية فنشر مقالتين عن رُجتين عربيتين منقوشتين وجدتا في ايطاليا الجنوبية ، ونشر ايضاً في مجلة الهلال مقالة عنوانها (كيف نشأت اللغة العربية) ثم مقالة أخرى عنوانها (الحروف اللاتينية هل تصلح للكتابة العربية) ونشر في مجلة المجمع العربي بدمشق مقالة سماها (تصحيفات غريبة في معجمات اللغة) وكتب في مجلة الدراسات الشرقية عن المعنى الاصلي لكلمة « ليصبّة » واستعمالها عند الفلاسفة وعلماء الفلك بناء على شواهد عربية مختلفة . ومقالة أخرى عن كلمة « ياض » بمعنى « قار » ، وردت في معاهدات بين مصر وأهل أرغون في القرن الثالث عشر الميلادي ، ونجد في بقية كتاباته الكثيرة ملاحظات شتى مفيدة عن تاريخ اللغة ومعاني الكلمات ، مثلا كلمة « هاهنا » التي استعملها ابن رشد بمعنى « يوجد » كما تستعمل لفظة « فيه » في العاميّة ، وكذلك نجد في كتابه الفلكي المشهور عن البتاني قسماً لغويًّا على غاية من الأهمية ، وله مقالة عن كتابين في اللغة العربية الجنوبية قبل الاسلام وهما كتاب قواعد اللغة العربية الجنوبية للاستاذ جويدي Guidi والمنتخبات العربية الجنوبية للاستاذ كونتي روسيني Conti Rossini اوضح فيها مسائل لغوية وتاريخية هامّة .

أما الآداب العربية وتاريخها فكان الاستاذ نلينو على معرفة يقينية بها فكان يعرف مئات من المطبوعات العربية من جميع البلدان الاسلامية القريبة منها والبعيدة ويحفظ مضمونها في ذاكرته بدون حاجة الى الجذاذات ، وكان لا يكلّ عن جمع الكتب ويأخذ معهُ من القاهرة كلما جاءها صناديق عديدة من الكتب إلى روما ، وكتب عن موضوعات أدبية منها (حيقر الحكيم وكتاب طوبيا) — (تاريخ آداب اللغة العربية) — (نقص تاريخ آداب اللغة والعلوم التاريخية عند العرب) — (بيت الثابتة عن الإله ودّ) — (آثار كتب يونانية وصلت العرب عن طريق البهلوية) — (عمّ متولى ، حكاية عربية تأليف محمود تيمور مترجمة مع مقدمة وتعليقات) — (ملاحظات عن ابن المقفع وآدابه) . ومن أهم مقالاته تلك التي كتبها عن الكتب اليونانية التي وصلت العرب عن طريق البهلوية دلّ فيها على أن كتب Cassiodorus Bassus Scholasticus وVettius Valens وTenkros نقلت الى اللغة البهلوية أولاً ومنها الى العربية ، وفسّر بنظره الثاقب الأسماء المصحفة عند العرب بتعدّد دلالات الحروف البهلوية ، فحصل من ذلك ان تيكلوس وطيقروس وتكلوشا صيغ مختلفة لاسم Tenkros وان كتاب تكلوشا تزوبركا هو كتاب الفلاحة النبطية المعروف ، وبذلك يستدلّ القارىء على مقدرة الاستاذ نلينو في اللغة البهلوية وما عدا ذلك فلهُ نقد كتب كثيرة عن الآداب العربية

من أهم أعمال الاستاذ نلينو التاريخية نشره كتاب تاريخ مسلمي صقلية الذي ألفهُ Michele Amari . فقد نشر الجزء الأول في سنة ١٩٣٣ والثاني في سنة ١٩٣٥ ونصف الجزء الثالث في سنة ١٩٣٧ . ووافتهُ المنية قبل ان يتم طبع الكتاب كله ، ولا شكّ أنهُ كان العالم المستعدّ للاعتناء بمثل هذا العمل لما لهُ من تجارب طويلة في بلورة مع معلوماته التاريخية الفذة . ونحن نتبين من مقدمة هذا الكتاب التي تقع في ثلاث وثلاثين صفحة قيمة هذا العمل الجسيم وما يحتاج اليهِ الانسان من عناء واجهاد . أما أعماله التاريخية الأخرى فيتعلق معظمها بتاريخ العرب قبل الاسلام لا سيما بتاريخ العرب الجنوبيين الذين ألقى عنهم محاضراته الدقيقة في الجامعة المصرية . أما الرسائل التي كتبها فهي (عن تشريع القبائل العربية قبل الاسلام) — (البندقية وسفائنها في القرن الثامن عشر حسب وصف المؤرخ العربي مقديش) — (تاريخ اليمن قبل الاسلام) — (روّاد اليمن من الأوربيين) — (هل كانت مصر تتعامل رأساً مع جنوب جزيرة العرب قبل عصر البطالسة) — (علاقة العالم الاسلامي بأوربا) — (عن العرب والبربر في بلاد برقة) — (مخطوطان عربيان عن تاريخ بلاد اليمن موجودان في مجموعة كايتاني Caetani)

أما الجغرافية ، فكان اول ما نشره الأستاذ نلينو فيها (القياس الميتري لدرجة دائرة نصف

النهار عند جغرافي العرب) وأهم ما كتبهُ من هذه الناحية مقالة عنوانها : الخوارزمي وتجديده لجغرافية بطليموس) ، وقد ترجم ملخص هذه المقالة الى اللغة الفرنسية ، وهو المستشرق الوحيد الذي قارن من نواحي عديدة مختلف العلوم الاسلامية العربية بالعلوم اليونانية وبين علاقة بعضها ببعض لفهم الواحد من الآخر ، فاهتمّ بالأسماء الجغرافية وكتب عنها رسائل شتى وهي (كيفية كتابة الأسماء الجغرافية باللغة العربية والفارسية والتركية) — (الأسماء الجغرافية في العالم الاسلامي في بعض مؤلفات عربية جديدة) — (كيف تكتب الأسماء الجغرافية في طرابلس الغرب وبرقة باللغة الايطالية واللغة العربية) . وبينما كان ينشر ويترجم كتاب البتاني بحث أيضاً عن جداوله الجغرافية وألّف رسالة عنوانها (الجداول الجغرافية للبتاني مترجمة ومفسّرة) ، وكتب بياناً عن المكتبة الجغرافية التي نشرها الاستاذ de Goeje وكتب أيضاً في خارطة عربية من القرن السادس عشر الميلادي لعلي بن أحمد من مدينة سفاقس وعن رحلة سافر في ليبيا في القرن الثامن عشر ، وبهذه المعلومات الفذّة للأسماء الجغرافية استطاع ان يساعدنا كل المساعدة في جلسات مجمع فؤاد الأول عند المناقشة في هذه المسائل .

— ٣ —

أما علم الفلك عند العرب فالاستاذ نلينو هو السيد فيه ، وكتب أحد المستشرقين عن كتابه المسمى بالبتاني الذي يقع في ثلاثة مجلدات (إنهُ الحجر الأساسي لعلم الفلك ومن يعرف استعماله يجد فيه ملاحظات في هذا العلم الصعب وهو فوق ذلك يهيء للقارىء ابحاثاً أهمّ منها) ، وعنوان هذا الكتاب لاتيني وترجمتهُ (كتاب البتاني الفلكي منشور بالعربية عن المخطوط الموجود في الاسكوريال ومنقول الى اللاتينية ومفسّر بتعليقات) ، طبع المجلد الاول في سنة ١٩٠٣ ويقع في سبع واربعمائة صفحة من القطع الكبير ويحتوي هذا المجلد على ترجمة الكتاب والشروح وعلى مقدمة يخبر المؤلف فيها بحياة البتاني الحراني وبرسائله والكتب التي نسبت اليه خطأ ، ثم تكلم عن الكتاب نفسه ، فطبع المجلد الثاني بعد أربع سنين ويقع في اربع وأربعين وأربعمائة صفحة وهو ترجمة كل الجداول مع تعليقات ومعجم وفهارس ، والمعجم العربي فيه مقدمة نحوية قصيرة ثم ملاحظات كثيرة عن الاصطلاحات الفلكية العربية وهي مهمة جداً من الجهة النحوية واللغوية . ويلي ذلك فهرس جغرافي وآخر تاريخي . اما المجلد الثالث ويقع في تسع وسبعين ومائتي صفحة فطبع قبل المجلد الاول بأربع سنين وهو المتن العربي . وله كتاب فلكي مشهور كتبهُ بالعربية وهو (علم الفلك : تاريخهُ عند العرب في القرون الوسطى) ويقع في احدى وسبعين وثلاثمائة صفحة وهو نص الاربعين محاضرة التي القاها الاستاذ نلينو في الجامعة المصرية القديمة فنشرتها منها كاملاً وتمها مختصراً ، وأضاف اليها ملاحظات اخرى عديدة وثمانية عشر ملحقاً تختلف

طولاً وقصراً وفهرست المواضيع وفهرست اسماء العلماء الاوربيين المذكورين في الكتاب وقائمات المضيون في كل محاضرة . وكثيراً ماكان الاستاذ نلينو يضيف مثل هذه المختصرات الى مؤلفاته وهي تدل على تنظيم عمله وترتيب افكاره وهي فوق ذلك تسهل على القارىء سرعة فهم الكتاب . وهذه المحاضرات تشمل جميع الكتب العربية في علم الفلك ،فنقدها المؤلف وحدّد علاقتها بعلم الفلك عند اليونان والفرس والهند وأظهر ايضاً المعلومات الفلكية عند العرب قبل الاسلام، وألّف فيما عدا ذلك رسائل قصيرة في علم الفلك واصطلاحاته وتاريخه ، منها (علم الفلك عند جميع) — (الاشتقاق العربي لكلمتين الايطاليتين azimut و zenit وملحق عن كلمة nadir — (هل يقال زَرَق ثم رزق في علم الفلك الدائر عند العرب)— (كلمة قطع في علم الفلك عند العرب) — (الشمس والقمر والكواكب عند المسلمين) ، وله فوق هذا نقد كثير لكتب فلكية عربية .

—٤—

درس الاستاذ نلينو تاريخ الفقه الاسلامي وكذلك فقه الشرق القديم والشرق المسيحي كما انهُ درس كل فروع الثقافة الاسلامية فألف رسالة عن (كتاب البيان لابن رشد الحفيد) وهو جد ابن رشد الفيلسوف. وكان هذا في سنة ١٩٠٤ ثم ابتدأ منذ سنة ١٩٢١ بتأليف كتب ورسائل عن علم الفقه الذي كان علك ناصيته ، وكان السبب الذي دعاه الى هذا هو ان الاستاذ E. Cerusi الذي عينتهُ الحكومة لتدريس الفقه الشرقي في كلية الحقوق بجامعة روما ادعى انهُ عضو المدرسة الشرقية فردته المدرسة ولكنها لم تعلن ذلك الا مضطرة ، ثم نوهت الى الاستاذ نلينو هذا الواجب الثقيل أن ينتقد ما كتبه الاستاذ كاروزي في تاريخ الفقه الشرقي مع قلة كفايته وضعف معلوماته في اللغات الشرقية فقام الاستاذ نلينو بهذا الواجب الصعب بما عهد فيه من دقة في البحث وعدل في الحكم ، ولهذا السبب وجب عليه أن يدرس كتاب الفقه الملقب بالسرياني الروماني وكذلك كتاب الهدايات أي القوانين لابي الفرج بن العبري وتحت له دراسة هذه الكتب ابواباً مختلفة الى ابحاث مهمة ، ورفض على حق مازعمهُ الاستاذ كاروزي من ان هناك فقه سامي أصليّ ، ثم اقتفى أثر كتب الفقه السريانية والعربية وقارنها بالفقه اليهودي ، فبدأ بكتابة رسائل في مسائل مختلفة منها (الفقه الاسلامي في القوانين السريانية المسيحية لابن العبري) وبرهن فيها على أن ابن العبري اقتبس قسماً من قوانينه من الفقه الاسلامي دون أن يشير الى ذلك ، ورسالة (Parrhesia والزواج بلا عقد كتابي حسب الكتاب السرياني الروماني) ثم (ملاحظات جديدة عن الكتاب السرياني الروماني وابن العبري) — (كُتُب فقه رومية في تراجم عربية مسيحية) — (Apotemnein والمنع من الميراث في كتاب الفقه السرياني الروماني) — (بعض مواضيع تتعلق بالفرائض في الكتاب السرياني الروماني) — (Pherne بمعنى مهر في كتب سريانية ويهودية)

ثم كمّل هذه الرسائل كلها برسالته (عن الكتاب السرياني الروماني وعن الفقه السرياني الوهمي) وقد كان علماء تاريخ الفقه قد عرفوا أن بعض أبواب كتب الفقه السريانية التي نشرها الاستاذ Sachau ترجمت من كتب فقه يونانية — رومانية، ولكنهم ظنوا أن باب الفرائض هو فقه سرياني محض معمول به في بلاد الشام وأن هذا الفقه أصيل موجود في الشرق القديم وأخذ الاستاذ نلينو في الفصل الذي سماه (مراجعة الافكار الشائعة من كتاب الفقه السرياني) يقول «لو أردنا أن نظهر ونصلح كل الآراء الخاطئة والأغلاط والالتباسات التي وقعت في درس هذا الكتاب لوجب علينا أن نكتب سفراً ضخماً». ولكنهُ أثبت أن الجزء الذي كان يظنه العلماء سريانيًّا بحتاً هو في الحقيقة يحتوي على قوانين رومانية قديمة من قبل زمن يوستنيانوس قيصر الروم المعروف عند العرب بهرقل وأن كتب الفقه هذه لم يكن معمولاً بها عند السريان ومن الواضح أنها ترجمت من اليونانية، وقد برهن الاستاذ نلينو أن قصد مؤلفها — الذي يجهل اسمه — كان تعليميًّا عمليًّا وانه انما أراد ان يكتب كتاباً تعليميًّا مختصراً وأثبت كذلك ان الكتاب الملقب بالفقه السرياني الروماني لم يترجم في القرن الخامس بعد الميلاد بل في القرن الثامن وان هذا الكتاب لم يستعمل قط لمجموع القوانين عند الأساقفة بل اعتبروه تحفة لمسيحي الغرب. هذه هي النتائج الجديدة المفاجئة لابحاث الاستاذ نلينو في مسألة كثر البحث فيها ولم تفهم قبله. أما رسائله الأخرى في الفقه نعني الثالثة (الكفالة في الفقه الحنفي) — (تحريم المؤاخاة في الفقه الروماني الفيصري وما يماثله عند العرب)، وكذلك كتب مقالات عن (الفقه الاسلامي) و (بيت المال) و (القاضي) في المجموع الايطالي الجديد.

وكان الاستاذ نلينو يفهم جيداً الدين الاسلامي والفكر الاسلامي وأمور المسلمين وكلّ ما يتعلق بهم، وكتب رسالة عن الاسلام في العصر الحاضر سماها (مقاصد الاسلام العصرية)، وفسّر تسمية فرقتين إسلاميتين تفسيراً جديداً بناء على بحث لغوي تاريخي دقيق فبيّن أن كلة المعتزلة معناها «المحايدون» لا «المفصولون» كما يظن العلماء وقال إن القدرية الذين لم يقبلوا القدر بل رفضوه سموا بذلك الاسم لأنهم اشتغلوا بالقدر، ووصف أيضاً الصلة بين كلام المعتزلة وكلام فرقة الاباضية في إفريقية الشمالية وشرح العلاقة بين الاثنين شرحاً واضحاً ولكنهُ ترك هذه المسألة دون ان يفصل فيها، ثم نشر مقالة مفيدة عن رأي غريب منسوب الى الجاحظ يخصّ القرآن الشريف بأن القرآن جسد يتقلب تارة إنساناً وتارة حيواناً، فلم يفهم العلماء هذا الرأي بل أولوه على أوجه مستحيلة شتى، وشرحه الاستاذ نلينو على وجه بسيط قائلاً انهُ اذا زعم ان القرآن مخلوق فهذا الرأي لا يقصد تبديلاً بديعيًّا وحقيقيًّا بل تغيراً محتملاً نظريًّا بقدرة الله لأن الله يقدر ان يغير ما خلق. وكتب أيضاً عما نشر في العراق

منذ زمن قليل عن مجادلة سياسية دينية ، وفي السنة الماضية ظهرت لهُ مقالتان « الحديث » و « الاجماع » في الموسوعة الايطالية الجديدة ، أما النبي فكتب عنهُ مقالتين الأولى عنوانها (الأستاذ Gabrieli ورسالة لم تنشر عن مصدر عربي للسيرة) والثانية سماها (في القرن الثالث عشر لوفاة النبي) ، ومقالتاه عن الخلافة احداهما (ملاحظات عن الخلافة عامة وعن الخلافة العثمانية المزعومة) فنقلت هذه المقالة الى الفرنسية والانكليزية ، والثانية (انتهاء الخلافة المسماة بالعثمانية) ، وما نشره عن التصوف في الاسلام أهميته عظيمة ، ولهُ رسالتان عن هذا الموضوع أولاهما (القصيدة الصوفية العربية لابن الفارض مترجمة الى الايطالية) والثانية (ملاحظات أخرى على ابن الفارض وعلى التصوف الاسلامي) . ولتمكنه من الأدب الصوفيّ الشرقيّ والعربيّ أمكنهُ ان يشرح جليًّا الفرق بين تصور الشاعر وبين المذهب الفلسفي ويبّن أيضاً كيف يمكن ان يكون المسلم الصوفي ثابت العقيدة ، وتوصل بمعرفته التامة لعلم النفس والفلسفة الى ان يفهم نفسية الشاعر فهماً متقناً ، فحدّد معانيه وفسّر لغته ، وصوّر « خيال الظلّ » عندما ذكر في الأدب الصوفي تصوراً حيًّا لأنهُ كان يعرف كل ما نشر عن هذا الفن في المسرح . واذا نقد كتب المؤلفين العرب أظهر مقدرة أدبية فنية في الحكم على مؤلفاتهم فيصف الأسلوب أحياناً بأنهُ جامد لا حياة فيه وأحياناً بأنهُ جميل ظريف .

كان الاستاذ نلينو خبيراً بالفلسفة الاسلامية ولكنهُ لم ينشر عنها الاّ قليلاً ، ومن أهم أبحاثه المقالة التي نشرها عن كلمة مَشْرِقية أم مُشْرِقية عند ابن سينا ، وقد قرأها بعض العلماء مشرقية أي مضيئة وبنوا على هذه القراءة آراء شتى وبرهن الاستاذ نلينو ان قراءة مُشرقية مستحيلة صيغة ومعنى وقرأها مَشرقية فشرح معنى الفلسفة الشرقية وتاريخها شرحاً مفصلاً ، وأصبح هذا الشرح ذا شأن عظيم في طريقته ومضمونه وهو باب دقيق من أبواب تاريخ الفلسفة الاسلامية . ولم ير أيضاً بحثاً عن كلمة استعملها ابن سينا وفسّرها العالم الايطالي T. Campanella خطأً ، وقد ترجمة اسبانية لكتاب ابن طفيل الذي تكلم عنهُ في رسالته المشهورة عن الفلسفة المشرقية ، وله ما عدا ذلك نقد لكتب اخرى عديدة عن الفلسفة العربية .

أما علم الآثار القديمة فدرسهُ الاستاذ نلينو ايضاً ونقد كتباً تتعلق بهذا العلم بنفس المقدرة التي نقد بها كتباً أخرى ، وألّف رسالة عنوانها (الأساطير التي تدور حول قبر النبيّ داود ووجوده تحت المكان المقدس للعشاء السريّ)

وقد ظهر من كل مؤلفاته انه كان ملمّ بعلم الكتب وتاريخ العلوم واقف ايضاً في هذين الحقلين رسائل كثيرة ، منها (ملاحظات على علم الكتب الشرقية)—(المخطوطات العربية والفارسية والسريانية والتركية في دار الكتب الوطنية ودار الكتب للمجمع العلمي في تورينو) —

(فهرست كتب تخص العربية الشمالية) — (طبع المؤلفات العربية وقانون حمايتها)—(رسالة من ايطاليا) وهو تقرير عن حالة دراسة اللغة العربية والعلوم الاسلامية في ايطاليا من سنة ١٩٠٤ الى سنة ١٩٠٥ (عن تاريخ العلوم : رسالة في تاريخ الرياضيات)—(المخطوطات العربية التي استعملها Ludovico Marracci كمصدر له في كتابه عن القرآن) — (هل كان أبو الفتح سيراقوسيا أم مرقسطيا) — (أهم النتائج التي وصل اليها E. Cerulli في رحلته الى بلاد الحبش الغربية في سنة ١٩٢٧ و١٩٢٨ و١٩٢٩ . وأضاف ذيولاً كثيرة الى كتاب المؤرخ الرياضي الفلكي المشهور H. Suter المسمى بتاريخ علماء الرياضة والفلك عند العرب ومؤلفاتهم »

كان الاستاذ نلينو على معرفة يقينية باللغات الايرانية ولكن لم يؤلف فيها إلا رسالتين إحداهما عن الشاعر ميرزا فتح علي آخند زاده من اذربيجان الذي الف روايات تمثيلية غربية في بابها بلغته التركية ونالت هذه الروايات اهتمام المستشرقين وأنا اذكر أيام كنت ادرس على الأستاذ E. Jacob أنه وقف جهده على هذه الروايات ، ومنها رواية اسمها سيو ژوردان مترجمة الى الفرنسية وكتب عنها الأستاذ نلينو ، وكذلك ألقى في الاحتفال التذكاري للفردوسي محاضرة عن هذا الشاعر المشهور ، وكان فوق ذلك يستعمل معلوماته في اللغات الايرانية لحل مسائل في تاريخ الادب . وأظهر نقده لكتاب الأب بيدار في قواعد اللغة الكردية معرفته اللغات الهندية الايرانية » . وكتب ايضاً لخدمة الادارة الايطالية في المستعمرات مذكرتين احداهما «التعليم في المستعمرات» . والثانية «معاملة الوطنيين واشتراكهم في ادارة المستعمرات» . وقام دائماً بالواجب نحو زملائه واصدقائه يعدد فراقهم لهذه الدنيا فأبهم بكلمات موافقة أخص بالذكر الايطالي Caetani والاستاذ Snouck Hurgronje الهولندي الذي سمي في الحجاز الحاج عبد الغفار .

وكان الأستاذ نلينو طالباً نابهاً وعالماً فذاً وجمع الى هذا البساطة والوداعة وهاتان الصفتان أحسن زينة لعظماء الرجال ، وكان له مراكز مختلفة كنائب رئيس المجمع العلمي في روما وكذلك عضو أو عضو شرف في كثير من الجمعيات العلمية في ايطاليا وفي بلدان اخرى وحاز ياشين ورتباً كثيرة فكان officier للمجمع الفرنسي ، ومن لم يعرفه حقاً لم يكن يظن ان هذا العالم المتواضع صاحب سعادة وحامل لوسام الجمة الايطالية . عاش للعلم ولابنته ولأخته ولوطنه بعد ما انتزع الموت منه قرينته وابنه ، وقد جمعتني به صداقة ثلاثين سنة لم يعكر صفوها وكنا اذا التقينا في القاهرة سكنا في دار واحدة واجتمعنا كل يوم ، وكما قدم كتابه عن البتاني بهذه الالفاظ « الى والدي العزيزين اللذين اذكرهما دائماً واللذين لا اقدر أن اعبر عن مقدار شكري لهما» أقدم أنا هذه المرثية لصديقي العزيز الذي اذكره دائماً والذي لا أقدر أن أعبّر عن مقدار شكري له .